الفصل السادس

الصورة الأخرى

أجهزة المخابرات فى الخلفية

أجهزة المخابرات فى عملية سرية

من يحاول تتبع الأخبار المنهالة علينا باستمرار منذ الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م من وسائل الإعلام العالمية حول تنظيم القاعدة، وعملياته التى لا تنتهى فى كل دول العالم تقريبا، وعن تعاملاته المالية، واتصالاته التليفونية، ودائرة معاونيه، وأخيرا عن أتباعه المسلمين المنتشرين فى كل بقاع العالم، وقائده أسامة بن لادن فى جبال أفغانستان، وشرائط الكراهية التى يسجلها، ومحاولة تنظيم كل هذه الأخبار لتشكل صورة كاملة، يستقر به كل ذلك فى مستنقع من الغموض وعدم المنطقية.

وكأنه لا يغنى شيئا أن نسأل عن تجربة الاتفاق مع العقل البشرى السليم، ولا أن نسأل عن المستفيد والمتضرر من أحداث الحادى عشر من سبتمبر، فذلك يوصى بالبحث عن الخلفيات الواقعة فى إطار عمل أجهزة المخابرات.

فأجهزة المخابرات ليست فقط وحدات تجمع أخبارا سرية بطريقة سرية، فمن مهام أجهزة المخابرات ـ مثل وكالة المخابرات الأمريكية ـ أن تنفذ عمليات سرية بكل الوسائل المتاحة والتى تخدم أهداف سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية، ويحدد رئيس الدولة ذلك تفصيلا، إلا أنه غالبا ما يترك هذا الأمر لمستشاريه الذين يستجيبون بدورهم لتوجيهات

الصفوة المسيطرة على الاقتصاد والمال، ولا يمكن هنا تقديم شرح تفصيلى للوسائل التى كانت وكالة المخابرات الأمريكية تعمل بها فى العقود الماضية فى كل بلاد العالم المهمة، فهى ببساطة شديدة كانت تسير على غرار جهاز المخابرات السوفييتى السابق، وأرادت أن تتفوق عليه فى القدرة على التنفيذ والإنجاز، وأخيراً فإن جهاز المخابرات السوفييتى استخدم فى مواجهته مع الولايات المتحدة كل ما كان يخطر وما لا يخطر على خيال الخصم الأمريكى، ومن ثم أصبح ذلك ينطبق أيضًا على وكالة المخابرات الأمريكية. وتعتبر العمليات الإرهابية للتأثير على الرأى العام وسيلة نموذجية لدى وكالة المخابرات الأمريكية، فقائمة الاغتيالات التى كانت تتم بإيعاز منها طويلة، يصل عدد ضحاياها والمتأثرين بها بين جموع العالم إلى ملايين من البشر.

قامت وكالة المخابرات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالى بتخويف المواطنين الأمريكيين، وذلك بالتهويل من القوة العسكرية للاتحاد السوفييتى على مدى عدة عقود، وكان السياسيون يخافون من الاتهام بأنهم «متعاطفون مع الشيوعية» أو أنهم ضعفاء فى التعامل مع التحدى السياسى، ونتيجة لذلك كانت الميزانية العسكرية للولايات المتحدة تبلغ زهاء ٣٠٠ مليار دولار، وزادت هذه الميزانية بسبب الحرب العالمية ضد الإرهاب فى الفترة الأخيرة لتصل إلى ٤٠٠ مليار دولار.

يضاف إلى ذلك الجنود المرتزقة التابعين لوكالة المخابرات الأمريكية والذين يتم تمويلهم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية عن طريق تجارة المخدرات، وهكذا كان الحال فى أفغانستان، والآن لا يتم نزع أسلحة ذلك الجهاز العسكرى، ولكنه ينقل إلى مكان آخر لأداء مهام أخرى، فهو يعمل ظاهريًا فى الحرب ضد الإرهاب الدولى، وفى الواقع لصالح القرن الأمريكى الجديد، كما سيتضح ذلك فيما بعد، فالعديد من الأحداث المرعبة فى العالم، سواء كانت صراعات قبلية غير مفهومة الأسباب فى وسط آسيا، أو حروب أهلية فى أفريقيا، والطموح فى الاستقلال فى البلقان أو الشيشان، والتى تبدو ظاهريًا وكأنها تحمل صبغة ومنطلقًا محليًا خالصًا، يتضح عند التدقيق ـ فى معظم الحالات ـ أنها جزء من عملية أكبر تم رسمها بطريقة استراتيجية (١٨٣).

كان وزير الخارجية البريطانى اللورد «كيرزون ـ Curzon» ـ ومن قبل نائب الملك فى الهند - قد أشار قبل مائة سنة إلى أن تركمستان وأفغانستان والمناطق الواقعة على الجانب الآخر من بحر قزوين وإيران، تعتبر أحجارًا على مربعات الشطرنج، يمكن عن طريقها إدارة لعبة سيادة العالم (١٨٤).

كان الأمر يدور فى ذلك الحين «قبيل الحرب العالمية الأولى» حول البترول، وهذا لم يختلف اليوم، إلا أنه لا يليق الحديث عن ذلك علنًا، فالحروب ليست علنية، فمن يرغب فى شن الحروب، والقتل، واحتلال البلاد، ونهب الثروات، ومن يرغب فى تطبيق سياسة الدولة الكبرى، يحتاج إلى مسوغات أمام شعبه وأمام شعوب العالم.

هنتنجتون والعدو الجديد: الإسلام

أشرنا من قبل إلى الهجمات الإرهابية الإسلامية المعادية للأمريكيين فى تسعينيات القرن العشرين، وهى تتميز بخلفيات مخابراتية ملفتة للأنظار: فقنبلة مبنى التجارة العالمى الأولى لسنة ١٩٩٣م والتى تم تفجيرها بواسطة جماعة إرهابية، واضح أنه تم تغطيتها عن طريق وكالة المخابرات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالى، وكانت تلك الجماعة الإرهابية مكونة من جنود قدماء لوكالة المخابرات فى أفغانستان، ومحاولة تعليق انفجار أوكلاهوما لسنة ١٩٩٥م بالمسلمين، وأخيرًا الاعتداءات على السفارتين الأمريكيتين والسفن الحربية فى أفريقيا والمنطقة العربية، كل ذلك نسب إلى الشريك السابق لوكالة المخابرات الأمريكية أسامة بن لادن، دون تقديم أدلة صحيحة، ويبدو وكأنه قد تم بهذه السلسلة من الجرائم المنسوبة إلى المسلمين تمهيد الطريق لسيناريو الحرب مع القوى الإسلامية الأصولية المتطرفة فى كل دول العالم الإسلامى، وفى هذا الصدد كان دائمًا يتم إغفال أن الأمر يدور بصفة شبه دائمة حول مجموعات من الأفراد تم تجنيدهم من قبل وكالة المخابرات الأمريكية، إما مباشرة أو سرًا بطرق غير مباشرة.

بصورة متزايدة يصعب الحديث عن الصدفة، وذلك عندما يرجع أحد مستشارى وكالة المخابرات الأمريكية فى بداية التسعينيات النقاط الأساسية فى حرب الحضارة اليهودية ـ المسيحية ضد الحضارة الإسلامية، إلى الناحية النفسية-الدينية، **وينطلق «صمويل هنتنجتون ـ Huntington»، الأستاذ بجامعة «هارڤارد ـ**

Harvard» فى كتابه عن صدام الحضارات، من أن الصدام أمر حتمى من الناحية الجينية الطبيعية، وأيضًا فى ظل وجود المجتمعات الديموقراطية المعاصرة، وأنه لا يمكن التأكد من الانتماء إلى الوطن، أى الانتماء إلى عالم القيم اليهودى - المسيحى إلا عن طريق كراهية عدو مشترك، فلا يمكن تأمين إدارة العالم اليهودى - المسيحى إلا عن طريق كراهية من لا ينتمى إلى عالمهم(١٨٥)، وبعد انهيار الشيوعية التى كانت منتشرة فى كل دول العالم، لا توجد إلا الحضارة الإسلامية والدول الإسلامية التى يمكن اعتبارها عدواً.

لا يتم الآن شن الحروب الدينية لأسباب دينية، فدائمًا ما كان الدين ادّعاء تختفى وراءه الوسائل الوحشية للسلطة والقوة، وقد كتب هنتنجتون سيناريو لحقبة جديدة من المعارك الحربية، كشفت عنه اعتداءات ١١ سبتمبر التى تنبأ بها المؤلف، فسريعًا ما تظهر على طاولة لعبة السياسة العالمية شخصيات استخدمت منذ فترة قصيرة فى الحرب ضد الاتحاد السوفييتى، وتقوم هذه الشخصيات الآن فى صراع الحضارات بالدور الإسلامى، **ويختفى خلف الستار فكرة إعادة ترتيب العالم، وإعادة ترتيب منطقة الشرق الأوسط البترولية، وأجزاء كبيرة من العالم.**

رسم الطريق الزائف بدقة

الوصية الأولى للعمليات السرية

لأجهزة المخابرات التى تأسست من أجل التوسع، دور أساسى فى الحيلولة دون نشوء المعارضة العامة، فهى تنقح المناهج كى تكسب الرأى العام فى بلدها أو فى البلد الأجنبى فى الوقت المناسب، عن طريق العمليات الموجهة التى تمهد للسياسة المقصودة، وتخضع الجماهير لغسيل مخ يتم الإعداد له وتنفيذه بعناية فائقة، فينبغى توجيه الغضب العام من خلال الجريمة البشعة المدبرة، وعن طريق الاتهامات الموجهة، والتغطية الصحفية ضد العدو المزعوم، أما الجناة الحقيقيون، والسير الواقعى للجريمة، وسلسلة القرائن والأدلة، فيجب أن تنسق بطريقة معينة تمنع من معرفة المسئول الحقيقى عن الجرائم، وبنفس الطريقة والعناية يجب أن يتم رسم وتحويل الطريق الزائف فى اتجاه المجرمين المعروفين الذين نفذوا الجريمة دون

علم، أو بتصورات ودوافع خاطئة، فيجب أن تكتب وتنفذ الأحداث للوصول إلى التزوير المقنع لقائمة المطلوبين ولتضليل الرأى العام، ويجب أن يكون باستطاعة منفذى الجريمة الخفيين أن ينكروا فى كل وقت مسئوليتهم عنها بطريقة منطقية مقنعة، وأن يمثلوا وجهة النظر الزائفة، ينطبق ذلك بصفة خاصة على الرؤساء المسئولين سياسيّا وإداريّا.

فى هذا الصدد فإنه ليس من السهل الاستماع إلى السؤال الذى يهم كل علماء القانون الجنائى عند تفسير الجريمة، عن المستفيد والمتضرر منها، وتعتبر الإشارات والبراهين المفتعلة للشخصيات المضطربة، والتعصب الدينى، ومشاعر الانتقام العمياء، أو التخلف الحضارى العميق، من الأمور التى ينبغى أن تفسر الجرائم وتشير إلى المتهم الذى يُستبعد أن يقوم بها؛ لأنها تضر بمصالحه فى النهاية، وتصرف الأنظار عن أجهزة المخابرات التى تظهر وأنها فوق كل اتهام وشبهة.

تنكر أجهزة المخابرات فى عملياتها السرية أنها تؤدى خدمات فى مجال الجريمة المنظمة، بينما فى الحقيقة، يعمل جهاز المخابرات على أن تغمض الشرطة الجنائية كلتا عينيها عن البحث عن المخدرات، وبذلك يضمن جهاز المخابرات للمخادع (تاجر المخدرات) مكسبًا رائعًا، ويقوم هذا المجرم الكبير برد الجميل لجهاز المخابرات، وذلك بأن يؤدى بعض الأعمال التى يرغب الجهاز فيها.

أما من يرغب فى أواخر حياته فى إفشاء الأسرار حول تعاونه مع جهاز المخابرات، فإنه يجد نفسه بصدد محاكمة قانونية، تتم بعد كشف جرائمه التى تم التكتم عليها حتى ذلك الحين، ولن يفيد المجرم إشارته أمام المحكمة أنه كان يتعاون مع جهاز المخابرات، فلن يقدم أحد جهاز المخابرات، أى الدولة، للمحاكمة، ومن الناحية الأخرى فإن ذلك يحمل تهديدًا لصاحبه طيلة حياته، ولأجل ذلك فإن جهاز المخابرات يسيطر باستمرار على المتعاونين معه سرّا.

فى مقابل ذلك فإنه إذا تم تقديم المنفذين الظاهرين للأعمال التى يديرها جهاز المخابرات للمحاكمة، فإن جهاز المخابرات يدعم الطريق الزائف الذى رسمه، حيث يقدم شهودًا من المحيط الجنائى من المهدَدين بالسجن لسنوات طويلة، ليدلوا بشهادات مزيفة فى إطار الطريق الزائف الذى رسمه جهاز المخابرات على أمل أن

يحصلوا على تخفيف للعقوبة أو الإعفاء منها أو إسقاط الاتهامات الخطيرة عنهم، وكثيراً ما يحدث لأجل تزييف حقيقة الجريمة، أن يتم اتهام بعض الأشخاص الذين يمكن أن ينسب إليهم ارتكاب هجمات بالقنابل، لم يرتكبوها، أو يكون هؤلاء أشخاصًا مضطربين نفسيًا يكتب لهم الخروج من مصحات العلاج بصورة وهمية، وفى طريق الخروج يوضع لهم فى المخلاة قنبلة ذكية يتم تفجيرها إما زمنيًا أو بجهاز التفجير عن بعد، ولأنهم يموتون لدى تنفيذ الجريمة فإنه يصبح من السهل إنهاء البحث حول تفسير الاعتداء سريعًا، ويتم بعد ذلك العثور على صور لهذا الجانى الصورى، ويأتى بعد ذلك دور أجندات التليفونات والمكالمات المرتبة إلى تقود إلى الشبكة الأصولية العالمية المسئولة عن تنفيذ الحادث، وبذلك يمكن البحث عن خلفيات الجانى، وتساعد بصمات الأصابع فى التحقق من الشخص، وتظهر تسجيلات لمحادثات تليفونية تساعد فى تأكيد هذا الطريق الزائف.

كل طريق زائف به ما يلفت الأنظار

حتى العمليات السرية المخطط لها والمنفذة بصورة فى غاية الإتقان، يظهر بها بعد فترة - قد تطول وقد تقصر - أشياء ملفتة للنظر تصيب الإنسان بالدهشة. تتضح هذه التناقضات بالسؤال عن المستفيد والمتضرر من الجريمة، وغالبا ما تصعب الإجابة عن هذا السؤال بما يناسب الطريق الزائف. ففى حالات كثيرة يجب حماية عملاء أجهزة المخابرات الذين قاموا بالتحريض على القيام بجرائم، أو كانوا مشاركين فيها بأنفسهم، فى ساحة المحاكمة والملاحقة الجنائية، أو يتم نقلهم إلى أماكن أخرى آمنة، ولا تسمح أجهزة المخابرات بتقديم هؤلاء الأشخاص إلى المحكمة للإدلاء بشهادتهم، وأحيانًا تخفيهم تحت هوية جديدة ووجه جديد فى بلاد بعيدة، ولكن الأمر يصبح أصعب كما حدث فى الاعتداء الأول على مركز التجارة العالمى سنة ١٩٩٣م عندما تم تسجيل محادثات مدبر الحادث مع الضابط، ولم يعد بإمكان جهاز المخابرات أن يخفى المستند أو شاهد الإثبات فى الوقت المناسب، ومن هنا فإن العملاء يعملون على حماية أنفسهم وذلك بنسخ مثل هذه المستندات وحفظها فى أماكن متعددة بحيث يمكن الرجوع إليها عند الحاجة.

تضطرنا التناقضات التى تظهر بالضرورة مع مرور الوقت فى الحادث المفتعل من أجل تغطية الحادث الحقيقى إلى اللجوء إلى علم الجنايات، ومن خلال ذلك تتعدد الشكوك فى العرض الرسمى لسير الجريمة، ويحاول الجهاز بعد ذلك من خلال خبرائه وأعوانه فى الإعلام أن يقضى على النقد المعلن على الجمهور بهراوة نظرية التآمر، وتقف تحريات الشرطة الجنائية التى توضع عليها القيود لدى بحث العمليات السرية لأجهزة المخابرات عاجزة، أو تكون سرية أمام الإشارات التى تختفى سريعا عن الحادث الحقيقى، ويظهر كأن الملفات والأدلة الأخرى غير متوافرة بصورة صحيحة، حتى إنه يمكن إزالتها فى تلك الأثناء، وأخيراً فإن جهاز المخابرات يهتم بتحقيق التكتم التام بحيث يجعل التحقق مستحيلاً على غير ذوى الشأن، ولذلك فلا تسلم إلى القائمين بالتحرى الشرائط الأصلية والمحادثات التليفونية المسجلة للشخص المراقب، ولكن تسلم فى كل الأحوال نسخة بترجمة أحد الأجانب الذين يصعب التأكد من أمانتهم.

يتضح من أقوال العميل السابق للموساد «أوستروڤيسكى ـ **Ostrovsky**» أن معظم أجهزة المخابرات الغربية ليس لديها متخصصون فى التنصت يمكنهم فهم محادثات العربية العامية السريعة على التليفون، فهذا يجيده الإسرائيليون الذين نشأوا فى أقاليم هذه اللهجات وهاجروا إلى إسرائيل، والذين يعتبرون «متحدثين أصليين ـ **native speaker**» لا يمكن الاستغناء عنهم فى مهام التنصت والترجمة لدى كل أجهزة المخابرات الغربية، وبالضرورة يمكن استغلال ولاء هؤلاء الموظفين لصالح الموساد، وحسب أقوال أوستروڤيسكى يستعين جهاز المخابرات الإسرائيلى بهذه النقطة فى توفير الموارد المالية لعمله (١٨٦).

أما بالنسبة للحادى عشر من سبتمبر، فقد أكدت موظفة من العاملين فى فريق الترجمة التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالى ما ورد من إمكانية التزوير فى المعلومات المقدمة إلى المركز الرئيسى لمكتب التحقيقات الفيدرالى، وأكد مكتب التحقيقات أقوال هذه الموظفة، إلا أنه أرجع التقصير الواضح فى العمل إلى ضعف تدريب وكفاءة المترجمة، ولكن مكتب التحقيقات أعلن حتى لهذه الموظفة نفسها ـ وهى زوجة أحد ضباط سلاح الطيران الأمريكى ـ أن الخلل لا يرجع إلى خطأ فى الترجمة(١٨٧).

تظهر اعتراضات أخرى على كشف المعلومات والأدلة من الإشارة إلى تعرض مقدمى المعلومات للخطر، أو الاتفاق على عدم الكشف عن معلومات أحد أجهزة المخابرات الصديقة إلا بإذنه.

و ما يصيب بالدهشة هو إجمالى الاعتراضات على تتبع أى أثر آخر غير الأثر الذى تم عرضه رسميًا.

كيف تتلاعب أجهزة المخابرات بالعملاء المتعددين؟

لمحاربة الإرهاب الدولى، تم رفع مكافآت الحصول على معلومات فى هذا المجال، فبالمال تتجه مكاتب كل الدول إلى اقتناص كل ما يمكن اقتناصه من مصادر فى مجال الإرهاب، وهذا يجعل الإرهاب فى أفقر مناطق العالم مصدراً مغريًا من مصادر الكسب، ويعرض الإرهابيون من جانبهم - عادة بمعرفة زعيمهم وبمعرفة جهاز المخابرات الذى يقودهم - يعرضون خدماتهم كعملاء يقدمون المعلومات لأجهزة مخابرات أخرى، وهذا يمكِّن بدوره جهاز المخابرات المسيطر فى المنطقة من توجيه معلومات أجهزة المخابرات الأخرى إلى الاتجاه المرغوب فيه من خلال توجيه العملاء الثنائيين والثلاثيين والمتعددين، وبالضرورة يراعى كل ضباط القيادة المختصين فى أجهزة المخابرات المختلفة ألا تجفف منابعهم عن طريق الإجراءات الجنائية التى يقوم بها البوليس الجنائى والنيابة العامة أو المحكمة، وعلاوة على ذلك فإنه يجب - غالبًا - التنازل عن جزء من المكاسب الكبيرة التى يتم الحصول عليها دون مخاطرة، ومع القليل من الإنفاق، إذا ما تورط بعض العملاء واتهم بالمشاركة فى الجريمة المنظمة.

ولأن الإرهاب فى نفس الوقت مكون رئيسى للسياسة العليا، فإن هناك صراعًا دائمًا حول الصف الأول من جانب المخابرات فى تجارة الإرهاب، فيمارس جهاز المخابرات الإسرائيلى «الموساد» أنشطته بكثافة فى منطقة الشرق الأوسط، إن لم يكن فى العالم الإسلامى بأسره، لدرجة أنه يمكنه استغلال عملاء أجهزة المخابرات الصديقة بواسطة مصادره لتحقيق أغراضه، وهذا يؤدى إلى أنه يمكن أن تتشكل بعد ذلك فى اللقاء الدورى لأجهزة مخابرات حلف الناتو فى بروكسل - والذى سمح للموساد بالانضمام إليه - صورة للموقف تكون أحيانًا موجهة، ومن

هنا فإنها تكون خاطئة. فعندما تقدم ثلاثة أو حتى أربعة من أجهزة المخابرات تقارير متشابهة أو متطابقة من مصادر مختلفة كما يزعمون، فعندئذ يصل رجال أجهزة المخابرات الأخرى والسياسيون وممثلو وسائل الإعلام إلى الاقتناع التام.

الجريمة المتقنة

والأثر الزائف للطيارين الهواة الانتحاريين

إذا تصورنا أنه من الممكن أن تكون جريمة بهذه الدرجة العالية مثل جريمة ١١ سبتمبر عملية سرية لجهاز أو أكثر من أجهزة المخابرات، فعندئذ يضطر الإنسان، من ناحية، للبحث عن توضيح للعملية برمتها عن طريق آثار الجريمة الأصلية التى تسببت حقيقة فى قتل أعداد هائلة من البشر، ومن ناحية أخرى، عن الأثر الزائف الذى يتم تدعيمه بمرور الوقت للجريمة المزورة.

وبدلاً من أسلوب الصورة المقدمة رسميًا، التى يمكن أن يضاف إليها أجزاء كاملة لصورة أخرى، فإننا نفترض على الأقل وجود صورتين:

التوجيه الخارجى المحتمل للطائرات

طائرات ركاب توجه إلكترونيا من بعد ؟

كان يجب على المختطفين البالغ عددهم أربعة أو خمسة فى كل طائرة فى يوم ١١ سبتمبر، والذين اختطفوا أربع طائرات من طراز بوينج ٧٥٧ و ٧٦٧ مسلحين بسكاكين صغيرة، أن يتغلبوا على الطيارين وأطقم الضيافة الذين تلقوا تدريبات مكثفة كان جزء منها عسكريًا، بل وأيضًا يتغلبوا على الركاب، ثم يدخل اثنان لكابينة القيادة، ويبقى اثنان أو ثلاثة ليسيطروا على كل الركاب بالسكاكين الصغيرة.

كان الطيارون وأطقم الطائرات مدربين ومستعدين للتعامل مع حالات اختطاف الطائرات، وطبقًا للوائح فقد كان يجب عليهم إرسال إشارة عن اختطاف الطائرة عن طريق لوحة المفاتيح برقم ٧٧٠٠ ليخبروا الإدارة الأرضية لتأمين الطيران بما حدث[١٨٨]، ولكنه لم يتم استقبال الرسالة من أى من الطائرات الأربع المختطفة، التى طارت كل منها لأكثر من نصف ساعة دون أى ارتباط مع المحطة الأرضية وخارج مسارها الأصلى، قبل أن يتم توجيهها فى آخر مسار طيران لها إلى هدفها الأخير.

لم يسجل الشريط (الذى يتم التسجيل عليه لفترة محدودة) فى جهاز التسجيل الصوتى الآلى سوى محادثات تمت فى النصف ساعة الأخيرة للطيارين أمام عجلة القيادة، وبعد مرور ثلاثين دقيقة يعاد تشغيل الشريط من جديد فوق المعلومات القديمة التى حذفت، وقد عثر على هذه الأجهزة فى كل من طائرة البنتاجون والطائرة المحطمة فوق بنسلفانيا، وزعموا أنهم لم يعثروا فيها على أية تسجيلات صوتية، ولا يوجد حتى اليوم تسجيل صوتى للاتصال التليفونى بين المحطة الأرضية والطيارين، وفى العادة يتم هذا التسجيل أوتوماتيكيًا (١٨٩).

وجهة نظر الطيارين المحترفين الخبراء، أن قيادة طائرات ركاب عملاقة فى الطرق الجوية الكثيفة للساحل الشرقى الأمريكى بسرعة ٨٠٠ كيلومتر فى الساعة، وتوجيهها بدقة نحو أهداف مثل برجى مبنى التجارة العالمى لا يتأتى إلا لطيارين لديهم خبرة تمتد لسنوات طوال بالطيران، وأيضًا بالمجال الجوى فوق نيويورك، وليس هذا ممكنًا على الإطلاق لمجموعة من الشباب هواة الطيران الذين لم يتدربوا تدريبًا كافيًا.

لأجل ذلك فإن مهندسًا سابقًا فى سلاح الطيران البريطانى يفترض أنه قد تم توجيه الطائرات عن بُعد، وقد نشر الصحفى الأمريكى «جوى ڤيالس ـ Joe Vialls» تفسير هذا المهندس ـ الذى ظل غير معروف حتى الآن ـ على صفحته على الإنترنت(١٨٩).

طبقًا لأقوال المهندس، قام السلاح الجوى البريطانى فى الخمسينيات بتطوير تكنولوچيا يتم عن طريقها قيادة الطائرات الحربية بدون طيارين، وفى تيار تطوير هذه التكنولوچيا تم البدء بتوجيه أربع طائرات فانتوم ثقيلة، طارت فى سرب، متجاورة وفوق بعضها البعض، ثم عادت للهبوط تدريجيا، وقد قامت وكالة تطوير المشروعات فى السبعينيات بنقل هذه التكنولوچيا المتقدمة من المجال العسكرى إلى المصلحة التى أنشأها البنتاجون للاستخدام المدنى لهذه التكنولوچيا، وقامت هذا المصلحة المدنية بالتطوير اللازم كى يمكن إعادة الطائرات المختطفة إلى الأرض آمنة، عن طريق القيادة عن بُعد، وأصبح بالإمكان عن طريق هذه

التكنولوچيا الرائعة سماع المحادثات فى كابينة قيادة الطائرة المختطفة، وعند اللزوم يمكن سلب قيادة الطائرة من الطيارين، مع توجيه الطائرة من بعد، ثم بعد ذلك يمكن إجبار الطائرة إلكترونيًا على الهبوط فى المطار المطلوب دون أى اعتبار لما يقوم به الخاطفون أو طاقم الطائرة، إلا أنه لم يخطر ببال مهندسى التطوير أنه سيمكن بعد ثلاثين سنة حل شفرة الكمپيوتر السرى للغاية وإساءة استخدام النظام، وقد تم إعداد هذه التكنولوچيا التى تنتزع قيادة الطائرة من الطيارين لتقوم بتوجيه أربع طائرات فى وقت واحد، وكان عدد الطائرات فى ١١ سبتمبر أربعًا، تم مراقبتها بعد الإقلاع وتوجيهها نحو أهدافها، وهذا هو رأى الخبير غير المعروف.

التوجيه عن بُعد فى أكثر من ٦٠٠ طائرة ركاب

طبقًا للتقديرات، تم تركيب أجهزة كمپيوتر للقيادة مزودة بنظام التوجيه عن بُعد فى أكثر من ٦٠٠ طائرة أمريكية، وقد سكتت الحكومة الأمريكية حتى الآن عن هذه الافتراضات والتخمينات المعروضة التى ذكرناها.

يطلق سلاح الطيران الأمريكى طائرات عسكرية بدون طيار، تطير وتهبط أوتوماتيكيًا، وهكذا أقلعت طائرات من مطار فى كاليفورنيا متجهة إلى استراليا وعادت إلى قواعدها سالمة[١٩١](*)، فلا شك فى وجود هذه التقنية، ومن الواضح أنه كان يمكن استخدامها أيضًا فى حالة الاعتداءات على نيويورك وواشنطن، إلا أن إدارة بوش لا ترى أنها بحاجة إلى مناقشة ذلك، فمحاولة التفسير البديلة لأحداث ١١ سبتمبر لا تعرض ولا تناقش إلا فى الإنترنت، ولا توجد فى وسائل الإعلام أية إشارة إلى ذلك، فربما يكون من السهل اقتفاء هذا الأثر واختبار صحته وقطعيته ودراسة المستندات ذات الصلة أو دحض النظرية بشكل مقنع.

حدود الدوران (الانحراف) الحاد للطائرة

طارت طائرة الخطوط الجوية الأمريكية فى رحلتها رقم ٧٧ والتى زعموا أنه تم توجيهها نحو الواجهة الجنوبية الغربية للپنتاجون من مطار دلاس واشنطن الدولى

(*) بل إن تكنولوچيا الكمپيوتر والاتصالات والتوجيه من بعد، أفلحت فى سفن الفضاء التى تهبط على القمر أو المريخ، وتقوم بتنفيذ المهام المطلوبة منها من بعد ـ المترجم.

أولاً فى اتجاه أوهايو، ثم تحولت هناك عن مسار الرحلة، وعادت مئات الأميال فى اتجاه واشنطن، وفوق ولاية أوهايو انقطع الاتصال اللاسلكى بالطائرة، ولم يعد جهاز الإرسال يبث إلى رادار المراقبة الأرضية أية إشارات لتحديد الهوية، انتهت آخر محادثة مع محطة التحكم الأرضية «A.T.C.S» فى الساعة ٥٠ : ٨ دقيقة، أى قبل دقيقة واحدة من تعديل المسار الأصلى، وبعد ست دقائق من محاولة الاتصال المتجددة لم تتلق المحطة الأرضية أية إجابة، وحاولوا إعادة الاتصال مرارًا وتكرارًا، خاصة وأن موجهى الرحلة فى المحطة الأرضية كانوا قد أحيطوا علمًا بالهجمات فى نيويورك، ولكن بلا جدوى، إلى أن حلقت الطائرة فوق واشنطن، ودارت الطائرة أولاً دورة فوق البيت الأبيض، ثم اصطدمت بعد ذلك بالپنتاجون.

طبقا للبيانات الرسمية عن المسار المقترح، كان يجب على الطيار أن يكون قد هبط بالطائرة التى تطير بسرعة ٨٠٠ كيلومتر/ ساعة بانحراف قدره ٢٧٠ درجة ليقترب من سطح الأرض محطمًا خطوط التليفون، وتستقر الطائرة بارتفاع سنتيمترات قليلة فوق الحشائش فى الجناح الجنوبى الغربى للپنتاجون [١٩٢].

تنسب هذه المناورة بالطائرة التى لا يكاد يقدر على أدائها الطيارون المقاتلون إلى «هانى هانجور ـ Hani Hanjour» الهاوى، والذى كان مدربه على الطيران قد أنكر قبل أسابيع قليلة فى مطار «بويس ميرلاند ـ Bowies Maryland» أن يكون هانى قادرا على قيادة طائرة سيسنا بمفرده[١٩٣]، إذا تعتبر مناورة طيران كهذه بالنسبة للطيارين غير المدربين ضربا من المستحيل، وهذا أيضًا هو رأى الطيارين المقاتلين الخبراء من كل أنحاء العالم، إلا أن هناك عنصرًا آخر فى العملية أكثر أهمية، فعند حدوث مثل هذا الدوران الحاد ومع السرعة العالية، تظهر القوى الطاردة المركزية التى تطرد الدم من الرأس إلى الأطراف عند عدم ارتداء بدلة الضغط، بحيث يفقد الطيار أو الراكب وعيه، وكان يجب على الطيار الانتحارى للقيام بمناورة كهذه أن يرتدى بدلة خاصة بالطيارين المقاتلين؛ لأنها هى التى توقف هذا التأثير أو تقيده.

هناك ادّعاء فى بحث على الإنترنت أن شركة بوينج حددت الطيران الدائرى لطائرات الركاب من طراز ٧٥٧ و ٧٦٧ التى تسمح للركاب بحمل أوزان تزيد عن ١,٥ من وزن الجسم[١٩٤].

يقدر المختصون الضغط الناتج عن الدوران الحاد لطائرة الخطوط الجوية الأمريكية ٧٧ فوق نهر پوتوماك والمطار الدولى و البنتاجون بقيمة تتراوح ما بين ٥ إلى ٧ أضعاف ما يمكن أن يتحمله الإنسان، ولا يستطيع الطيارون المقاتلون تحمل هذا الضغط إلا بارتداء بدلة خاصة، فلو افترضنا أنه تم توجيه هذه الطائرات عن بُعد باستخدام التحكم الخارجى، فعندئذ لا يكون هناك مجال للحديث عن مشاكل الضغط.

ماذا حدث لطائرة الخطوط الجوية الأمريكية رقم ٧٧ ؟

حجم الإصابة فى البنتاجون

لا توجد فى نتائج التحريات الرسمية حتى الآن إجابات عن الأسئلة المطروحة، وينطبق هذا أيضًا على الأمور الغريبة فى الطائرة التى تم توجيهها إلى البنتاجون، فطبقا للبيانات الرسمية لم تصب طائرة البوينج ٧٥٧ سوى الطابق الأرضى للبنتاجون، إلا أنه انطلاقًا من حجم الطائرة كان يجب أن يُصاب أكثر من ذلك بكثير، حتى لو افترضنا أن الطائرة كانت تطير فى وضع أفقى تمامًا وعلى أقل ارتفاع ممكن(*).

جدير بالذكر أن طائرة البوينج الخالية من الركاب تزن ٦٠ طنًا، يضاف إلى ذلك وزن الركاب والأمتعة، وبذلك يطرح السؤال نفسه، أين ذهب الركاب، أو أين ذهبت جثثهم؟ أو على الأقل بقايا جثثهم، وأمتعتهم؟ وهيكل الطائرة(**)؟

يتكون مبنى البنتاجون من خمس وحدات بنائية على شكل خماسى ولا يتضح فى الصور وجود أية بقايا للبوينج ٧٥٧، التى يبلغ طولها حوالى ٥٠ مترًا، وعرض أجنحتها حوالى ٤٠ مترًا، ويدعى البنتاجون أن اصطدام الطائرة قد تسبب فى حدوث فتحة كبيرة ينبعث منها الدخان(١٩٥)، طابقين.

من الأمور التى تبقى دون توضيح هى لماذا اقترب الإرهابيون أصلاً من البنتاجون بهذا الشكل فى مناورة متقنة لطيارين بهذه الدرجة العالية من الكفاءة ؟ فالبنتاجون

(*) الطائرتان اللتان اصطدمتا ببرجى التجارة، أصابت كل منهما أربعة أو خمسة طوابق.

(**) طائرة الركاب اللبنانية التى سقطت فى أواخر ديسمبر ٢٠٠٣م، نجا أكثر من عشرين راكبًا من الموت، وكثيراً ما سقطت طائرات ونجا عدد من الركاب، فكيف تهبط طائرة البوينج إلى مستوى الأرض، وتصطدم بالبنتاجون ولا يبقى فيها ناج واحد ـ المترجم.

يظهر من الجو هدفًا واضحًا، مع أن المبنى غير مرتفع بصورة واضحة، لذلك كان من الأبسط على الطيار الإرهابى أن يوجه طائرة الركاب المستخدمة كقنبلة طائرة إلى المبنى من أعلى بزاوية واضحة، ولكن بدلاً من ذلك فقد توجه الهجوم من الأرض، حيث كان يجب أن تكون مقدمة الطائرة متجهة إلى أعلى كى لا تصطدم بالأرض قبل أن تصل إلى هدفها، **وادعى العسكريون أنهم عثروا على جهاز التسجيلات الصوتية للطائرة، إلا أنه لم يتم العثور على المحركين الكبيرين، والحطام الهائل للطائرة، وبقايا أجساد الركاب المتوفين مع أمتعتهم.**

يذهب« تيرى ميسان ـ **Thierry Meyssan**» فى كتابه عن ١١ سبتمبر إلى الرأى بأنه لم يتم توجيه طائرة ركاب نحو البنتاجون ؛ وذلك لأنه لا يوجد حطام للطائرة المستخدمة(١٩٦).

صور فيديو مزورة وأخرى لم تنشر

أنكر البنتاجون على الرأى العام فى بادئ الأمر أن يكون فى حوزته صور لكاميرات المراقبة الموضوعة فى المنطقة بخصوص ارتطام الطائرة، وقد تم الاستيلاء فورًا على صور الفيديو التى التقطتها كاميرات المراقبة الخاصة بمحطة البنزين المجاورة للاصطدام بالبنتاجون الطائرة، ولم تصبح بعد ذلك متاحة للرأى العام، وعندما نشر المؤلف الفرنسى ميسان فى نهاية فبراير ٢٠٠٢م كتابه، أفرج البنتاجون فى مارس، أى بعد فترة وجيزة من صدور الكتاب، عن خمس صور التقطتها إحدى كاميرات المراقبة لاصطدام طائرة الخطوط الجوية الأمريكية رقم ٧٧ بالبنتاجون (١٩٧)، إلا أنه تم عرض البيانات الزمنية على هامش الصور فى وقت متأخر، كما أن هذه البيانات لم تكن صحيحة(١٩٨).

تظهر مادة الفيلم المملوكة للجيش والمفرج عنها بصورة محدودة، أن البنتاجون قد أصيب بالقرب من أساس الطابق الأرضى، ويظهر فى جزء من الصورة جسم محاط بدخان أبيض عند الاصطدام، إلا أن عائقًا أمامه منع الرؤية فى محيطه، وهناك نقص فى الصور المفرج عنها، فلا توجد صور لفترة ما بعد وقت الصور المنشورة والتى يمكن أن تحدد بدقة نوع الأجسام المتطايرة: هل هى أجزاء طائرة أم صاروخ ؟ وليس من قبيل الصدفة أنه لم ينشر فى مقدمة الصور إلا تلك التى أمامها

حاجز يخفى الحدث الحقيقى، وتظهر فى الصور كرة من النار الساطعة النظيفة، فى حين أنه يتوقع أن يسبب الكيروسين المشتعل فى حوادث الطائرات والسيارات حرائق قاتمة، وتظهر منها أعمدة من الدخان أو السخام، وتشهد صورة شعلات النيران أمام البنتاجون بوجود احتراق مرتبط بتوفر كميات كبيرة من الأكسجين، وهذا يدل على أن كرة النيران ناتجة عن انفجار (١٩٩).

لا يتضح تفصيلاً من لقطات الڤيديو التى أفرج عنها العسكريون ما حدث بعد ذلك، فهناك حاجة ماسة إلى تتابع الصور للفترة ما بين سحابة الغاز الصغيرة التى فسرها العسكريون على أنها أشرطة من دخان طائرة البوينج ٧٥٧، وما تلا الاصطدام من نيران بيضاء ساطعة وملفتة للأنظار، ويمكن ـ طبقا لتخمينات إيريك هوفشميد ـ أن نستنتج من الصور التى لم يفرج عنها سرعة انتشار الانفجار أو الحرائق، وربما يمكن بذلك الإجابة بوضوح عن السؤال: هل نتجت الحرائق عن كيروسين متطاير أم عن انفجار؟ ولو كان من الممكن إظهار لقطات الڤيديو وإثبات حدوث اصطدام طائرة البوينج بالبنتاجون بصورة لا تقبل الشك كما يزعمون، فإن الممثلين للبنتاجون يكونون عندئذ فى غاية الغباء بعدم نشرهم للصور الحاسمة(٢٠٠).

بقايا الطائرة البوينج

لا يوجد فى صور الڤيديو التى أفرج عنها العسكريون أثر للطائرة، لكنه يمكن التعرف فى صدر الصورة على سيارة ركاب وعلى حشائش(٢٠١)، ونشر البنتاچون فى الإنترنت صورة بعنوان: «عامل البنتاجون يمسك شيئًا بيده يفترض أنه جزء من الطائرة التى يمكن أن تكون قد اصطدمت بالبنتاجون» انظر كيف تبدو اللغة فى غاية التحفظ!.

تم العثور على قطعة أخرى من الصفيح المحطم فى مهبط طائرات الهليكوپتر، ولكنه من غير المحتمل أن تكون هذه أجزاء من السطح الخارجى للبوينج ٧٥٧، ولا يجب أن نفترض كذلك أنها اندفعت من داخل الطائرة، وفى المقابل يمكن أن تكون جزءاً من صاروخ لا يحمل ركابًا، ومن الغريب أيضًا أن سيارة الركاب المتوقفة بالقرب من مهبط طائرات الهليكوپتر تحولت إلى شعلة من النيران، فى

حين أن الحشائش أمام البنتاجون ظلت على العكس من ذلك خضراء يانعة لم يصبها أذى، وجدير بالذكر أن الهجوم أصاب بدقة الجناح الذى كان قد تم إعادة بنائه ليصبح مؤمنًا ضد الهجمات الإرهابية، وأمكن السيطرة على الخسائر البشرية.

هناك شهود يدَّعون أنهم سمعوا انفجارين، واعتبروا الانفجار الأول ناتجًا عن اصطدام الجسم الطائر، والثانى انفجارًا داخل المبنى، ونتج عن الانفجار الثانى تحطم جزء من جناح مبنى البنتاجون.

من الجدير بالذكر أنه لم يسمح بتوزيع كتاب المؤلف الفرنسى تيرى ميسان فى الولايات المتحدة، لأنه اعتبر معاديًا لأمريكا، ولا تقدم الملاحظات والمشاهدات التى عرضناها هنا إجابة شافية للسؤال عن بقايا طائرة الخطوط الجوية الأمريكية٧٧، فقد تم تسجيل إقلاع البوينج، وكانت أجهزة الرادار الأرضية - العسكرية منها والمدنية - تراقب الطائرة أثناء رحلتها، ومن الضرورى أن تكون قد استقرت فى مكان ما، ولا يقع عبء حل هذا اللغز وإيجاد تفسيرات منطقية للعملية برمتها إلا على فريق عمل مختص وموضوعى يكلف بعمل التحقيقات والتحريات اللازمة.

سر المبنى رقم ٧ التابع لمركز التجارة العالمى

يجيب تقرير وكالة الطوارئ الفيدرالية عن السؤال: لماذا انهار المبنى رقم ٧ التابع لمركز التجارة العالمى دون أن تصطدم به طائرة؟.

ويوضح التقرير أن خصوصيات نيران المبنى رقم ٧ والطريقة التى تمكنت بها هذه النيران من تدمير المبنى غير معروفة حتى هذه الساعة، **ومن الضرورى عمل أبحاث وتحليلات لحل هذه المسألة، إلا أنه قد تم هنا أيضًا إزالة الجزء الأكبر من الأدلة.**

كان يجب أن يكون بالمبنى المكون من ٤٧ طابقًا بعض الخصوصيات، فكانت هيئة ميناء نيويورك قد قامت بتشييده، وانتقلت ملكيته منذ سنة ١٩٨٧ م إلى لارى سيلفر شتاين السابق ذكره، وكان المبنى قد تم بناؤه على بهو بارتفاع خمسة طوابق، وضعت به شبكتان للكهرباء بهما عشرة محولات ارتفاع الواحد منها عشرة أمتار

وعرضه اثنا عشر متراً، وتمد هذه المحولات الجهد الكهربى للخط العابر للبلاد بجهد عال ١٣٨٠٠ ڤولت ، وقد بنى المبنى ببساطة فوق المحولات الموجودة مسبقا؛ لأنه لم يتيسر العثور على مكان آخر للاحتفاظ بهذه المحولات، يضاف إلى ذلك مولدات الطاقة التى تعمل فى حالة الطوارئ بقوة ٢٠ ميجاوات، وكذلك خزانات زيت الديزل لتشغيل المولدات عند انقطاع تيار الشبكة الإقليمية. وطبقًا للتقرير الرسمى لوكالة الطوارئ الفيدرالية، فقد كان مخزنًا فى المبنى رقم ٧ حوالى ١٥٩٠٠٠ لتر من زيت الديزل الذى كان ينقل عبر الوصلات والأنابيب إلى أماكن الاستهلاك المختلفة، ووصفت وكالة الطوارئ الفيدرالية، المبنى رقم ٧ التابع لمركز التجارة العالمى بأنه مبنى إدارى عادى، مع أنه لا يوجد مبنى إدارى آخر يحتوى على مثل هذه الخطوط المختلفة من الأنابيب التى تضخ ١٥٩٠٠٠ لتر من زيت الديزل إلى ١٥ مولداً أو أكثر بطاقة إجمالية تصل إلى ٢٠ ميجاوات.

كان يوجد فوق المولدات خزانات الديزل اللازم لتشغيل المولدات فى حالة الطوارئ فى المبنى رقم٧، خلف الواجهة، المقر المركزى لوكالة المخابرات الأمريكية فرع مكافحة الإرهاب، كما كان هناك أيضًا فرع التجسس على بعثات تمثيل كل البلاد فى الأمم المتحدة(٢٠٢).

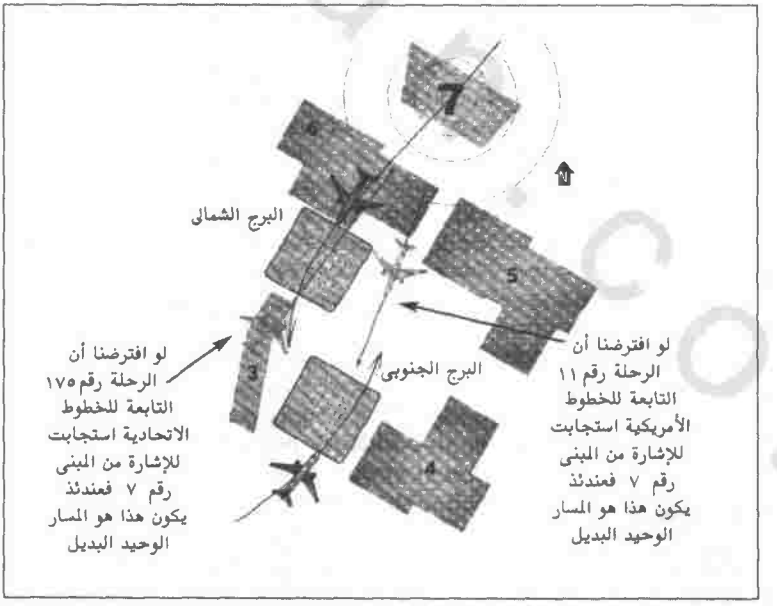

فى أواخر التسعينيات، تم بدعم من «جيرى هاور ـ Jerry Hauer» مدير مركز التجارة العالمى إعداد مقر سرى لعمدة نيويورك فى المبنى رقم ٧ ما بين الطابقين ٢٣ و ٢٥، كى يكون ذلك مركزاً للقيادة فى حالة حدوث اعتداء إرهابى، وبالفعل أثناء فترة التسعينيات كان قد ساد الخوف من أنه من الممكن أن يشن صدام حسين هجومًا على أمريكا بجرثومة الجمرة الخبيثة البيولوچية، ومن هنا فقد تم تأمين المقر، ليس فقط ضد الأسلحة التقليدية، وإنما أيضًا ضد الأسلحة البيولوچية.

كان لمركز القيادة ـ بمساحة مكاتبه البالغة ٤٦٤٠ متراً مربعًا ـ مصدر تموين جوى خاص به، وكان به خزانات ماء تصل إلى أكثر من ٤٠ ألف لتر، واستطاع المبنى أن يصمد أمام الأعاصير التى تزيد سرعتها عن ٢٦٠ كيلومتراً فى الساعة، وكانت يتم تشغيل مولدات الكهرباء فى حالة الطوارئ بحوالى ٢٢ ألف لتر من الزيت، الذى كان مخزنا بالقرب من الطابق الأرضى.

ولكن لماذا تراود إدارة المدينة فكرة نقل عمدتها فى حالة الطوارئ من مقر مكتبه فى دار البلدية إلى مركز التجارة العالمى، وجعله يمارس مهام عمله المعرض للهجمات الإرهابية هناك فوق محولات يصل ارتفاعها لأكثر من خمسة طوابق بجهد عال ١٣٨٠٠ ڤولت، وفوق خزانات ديزل هائلة بسعة ١٥٩٠٠٠ لتر من البترول ؟ يظل هذا السؤال دون إجابة، بل إنه يكاد يدخل فى حيز اللامنطق، إذا كيف استطاع چيرى هاور مدير مركز التجارة العالمى أن يطور هذه الفكرة ؟ يظل ذلك لغزاً محيراً.

المبنى رقم ٧

وتوجيه الطائرات عن بعد

التجهيز الحقيقى للمبنى رقم ٧ التابع لمركز التجارة العالمى، وكذلك التبجح الذى عارضت به مؤسسات الدولة الكشف عن حقيقة الأحداث عن طريق الأبحاث العلمية التفصيلية، يطرح سؤالاً وهو: هل كان القائمون بتوجيه الطائرات عن بُعد، والذين سلبوا الطيارين القدرة على التحكم فى طائراتهم، وقاموا بتوجيه هذه الطائرات مثل الصواريخ إلى البرجين، موجودين فى المبنى

رقم٧ ؟ ولأن الانفجارات كانت قد أسهمت فى انهيار البرجين، فربما تم إشعال القنابل الناسفة بطريقة التحكم عن بُعد فى توقيت زمنى محدد.

إذا لاحظنا موقع المبنى فى محيط البرجين بدقة أكثر، وإذا تفكرنا فى خط سير الطائرات، وكذلك خطوط السير المتوقعة والبديلة للطائرات، فإنه يتضح إمكانية تبديل اتجاه الطائرتين. فقد أقلعت كلتا الطائرتين من بوسطن، فرحلة الخطوط الجوية الأمريكية رقم ١١ تطير طبقًا للجدول فى اتجاه الغرب، وفجأة تغير اتجاه الرحلة إلى الجنوب الشرقى، حيث تتلقى الطائرة إشارة من المبنى رقم ٧، فتطير مباشرة فوق هذا المبنى وتتجاوزه، ويحدث بعد ذلك تعديل فى المسار، ولكن الوقت والمساحة غير كافيين، وليس من الممكن تجنب الاصطدام، يتضح الوضع المنحرف للطائرة والمنعكس بوضوح فى الأربعين دعامة الخارجية للبرج الشمالى، ومن المؤكد أن القوة الطاردة المركزية الكبيرة لدوران الطائرة قد أدت إلى سقوط الطاقم والركاب سريعًا فى حالة من فقدان الوعى.

لو كان البرج الجنوبى هدفًا لرحلة الخطوط الاتحادية رقم ١٧٥ الموجهة عن بُعد، فعندئذ كانت هناك إمكانية الطيران من اتجاه الجنوب الغربى، واضطرت الطائرة القادمة من بوسطن أن تطير جنوبا نحو نيويورك ثم تم بعد ذلك تحويل مسارها فى الاتجاه الشمالى الشرقى نحو المبنى رقم ٧، وكان لا بد لهذه الطائرة بعد ذلك أن تصطدم بالبرج الجنوبى خلال طيرانها إلى المبنى رقم ٧ الذى تنبعث منه الإشارة.

هل كان خبراء المفرقعات يجلسون فى مركز التجارة العالمى ؟

لو افترضنا أن بث إشارات توجيه الطائرات قد انطلق من المبنى رقم ٧، وأنه بناء عليها بدأ الكمبيوتر فى العمل أوتوماتيكيًا، فعندئذ كان لا بد - كما حدث بالفعل - أن تصطدم الطائرتان بالبرجين، وعندئذ كان من الممكن - كما استنتج ذلك إريك هوفشميد - أن يكون الطابق رقم ٢٣ من المبنى رقم٧ قد تحول إلى مخبأ مجهز بالعتاد؛ كى يتم استخدامه كمركز قيادة لتدمير مركز التجارة العالمى، ومن هناك كان يمكن الاطّلاع على المنطقة بأكملها واتخاذ القرار أيضًا حول كيفية وتوقيت تفجير العبوات الناسفة.

نتيجة لذلك يمكن أن يتضح أن افتراض وجود اعتداء انتحارى إسلامى بالطائرات ليس هو الافتراض الصحيح، ولكن ينبغى أن يغطى هذا الافتراض الجريمة الحقيقية التى قام بها مركز إدارة الطوارئ، وعندئذ كان من المحتمل بداية

من يوم اتخاذ قرار بناء المبنى رقم ٧ فوق المحولات، أن يكون هذا العنصر الجوهرى للحادى عشر من سبتمبر، مكونًا أساسيًا للجريمة الحقيقية التى يمكن باقتفائها الكشف عن المسئولين عن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م.

تعتبر النيران الصغيرة التى ظهرت فى صور المبنى رقم ٧ بدورها من الأثر الخاطئ الذى تم اقتفاؤه للتضليل، مع هذه النيران كان يمكن أن يتكون الانطباع أن المبنى كله يشتعل، وقد أعطى ذلك أيضًا مسوغًا ظاهريًا لسحب فرق الإنقاذ والمطافئ حتى لا يتعرضوا للخطر عند حدوث الانهيار، ومما لا شك فيه هو أن هذه النيران لم يكن ليسمح لها بالهجوم على بقية المبنى؛ كى لا تضع مركز قيادة الهجوم الإرهابى فى خطر، وفى وقت مبكر ما بين الساعة التاسعة والعاشرة كان قد تم تأمين موظفى المبنى رقم ٧ قبل انهيار البرجين المجاورين، ومن هنا فربما كان المنفذون الحقيقيون لهجمات ١١ سبتمبر قد سيطروا على المبنى بمفردهم من مركز العمليات، وفى حوالى الساعة الرابعة عصراً كان الغبار قد انقشع، واستطاع فريق التحكم عن بعد مغادرة المبنى.

أذاعت الـ «CNN» تقريراً فى حوالى الساعة ٤,١٠ عصراً يفيد بأن المبنى رقم ٧ التابع لمركز التجارة العالمى يحترق، بعد ذلك اضطر أحد الأشخاص من مخبأ العمدة أن يعطى إشارة إلى مركز قيادة المطافئ بالمبنى الذى يحترق، حتى إن مركز المطافئ أدلى بشهادة مؤداها أن المبنى رقم ٧ يحترق فعلاً، فى الفترة ما بين الساعة الرابعة والخامسة عصرا طلب أحد الأشخاص المجهولين من المصور توم فرانكلين الابتعاد عن المبنى رقم ٧، كما أنه طلب من الواقفين حول المبنى أن يبتعدوا أيضًا؛ لأن المبنى معرض للانهيار.

طائرة مصر للطيران

ومطار ستيوارت، والطائرات المتقاطعة

توجد أيضًا بعض الخصوصيات لمسار الطائرتين المصطدمتين بالبرجين فى المسافة ما بين بوسطن ونيويورك، فقد كتبت جريدة محلية فى «نيوهامبشير ـ New Hampshire» أن شخصا كان يعمل فى نقطة مراقبة الطيران فى «ناشوا ـ Nashua» بمدينة نيوهامبشير، لاحظ أن رحلة الخطوط الجوية الأمريكية رقم ١١ ورحلة الخطوط الاتحادية ١٧٥ قد اقتربتا جداً من مطار «ستيوارت ـ Stewart» الدولى[٢٠٣]، بالإضافة إلى ذلك أشار مقدم المعلومات إلى أن نفس نقطة إرشاد

الطائرات التى أرشدت الطائرتين كانت هى المسئولة عن توجيه طائرة مصر للطيران فى الرحلة رقم ٩٩٠ المحطمة فى المحيط الأطلنطى، وكانت هذه الرحلة يوم ٣١ أكتوبر ١٩٩٩م قد أقلعت من مطار چون إف كنيدى، وبعد أن وصل ارتفاع الطائرة ١٠٠٠٠ متر، سلَّم الطيار عجلة القيادة إلى مساعده، وذهب إلى دورة المياه، وعند عودته كانت الطائرة فى حالة حرجة للغاية ؛ فقد أصبحت فى حالة سقوط نحو المحيط، وحاول الطيار ومساعده السيطرة على الطائرة، ولكن بلا جدوى، فقد كانت محركات الطائرة تعمل بأقصى سرعة لها، وبأكبر استهلاك ممكن للوقود، واندفعت الطائرة نحو المحيط، ولم تستجب عجلة القيادة للأوامر، ولم يكن إيقاف المحركات ممكنًا، وقبل السقوط بفترة وجيزة توجه الطيار بالدعاء إلى ربه، وبعد ذلك حدثت الكارثة، وتوصلت إدارة الطيران الاتحادية إلى نتيجة مؤداها أن الطيار كان يبحث عن الانتحار، ولم يكن هناك تفسير آخر لكلماته الأخيرة، أما العارفون باللغة العربية فقد اعتبروا وما زالوا يعتبرون ذلك تزويراً، وأصيب العالم العربى بثورة من الغضب العارم، فهل ما حدث كان تحكما عن بُعد «**Remote Control**» وإسقاطًا للطائرة عن طريق التوجيه من بعد ؟ أم أنها قنبلة مهربة فى الحقائب ؟ لا توجد إجابات عن هذه الأسئلة، ولكن بقى النموذج التقليدى المطلوب: «**مسلمون متوحشون ينتحرون مع ركاب لا حول لهم ولا قوة**»(٢٠٤).

مما يثير التساؤل هو: هل يمكن الثقة فى خبر جريدة نيوهامپشير المحلية ؟ وهل يمكن الثقة أيضًا فى نقطة إرشاد الطائرات ؟ فمن الذى يختفى خلف موظف توجيه الرحلات الجوية غير المعروف حتى الآن ؟ توجد هناك أيضًا علاقات مدهشة، فقد تقاطعت الطائرتان فوق مطار ستيوارت فى الوقت الذى كان قد تم فيه اختطافهما ـ وبالتالى طبقا للرواية الرسمية لسير العملية ـ كان يجب أن تكون الطائرتان فى أيدى الانتحاريين المسلمين.

الرواية المحتملة لعملية مخابراتية سرية يمكن أن تجد ما يؤيدها إذا انطلقنا من أن الطائرتين المتقاطعتين استجابتا أوتوماتيكيًا فوق المطار إلى إشارة منطلقة من محطة للتوجيه عن بُعد من مطار ستيوارت، حيث كان سلاح الطيران الأمريكى قد أنفق على تشييد مبنى مكون من أربع طوابق وخال من النوافذ فى منطقة المطار حتى أواخر الستينيات للحراسة والمراقبة لاحتمال انطلاق أية صواريخ سوفييتية، وتم بعد ذلك إخلاء المبنى الذى تتكون المساحة الكلية لمكاتبه من ما يقرب من ١٣٠٠٠

متر مربع، ومن الطبيعى أنه كان يمكن توجيه الطائرتين من محطات جوية تابعة لإدارة الحرب الإلكترونية، فليس من الضرورى أن يكون التوجيه قد تم بواسطة محطة فى مطار ستيوارت.

قياس هزات زلزالية ومركز القيادة فى المبنى رقم ٧

صاحب انهيار المبنى رقم ٧ هزات زلزالية، هى التى جعلت الانهيار يمر بثلاث مراحل، وتكشف القياسات عن وجود ثلاث هزات واضحة وموزعة على ١٨ ثانية. ويمكن أن يتضح من تحليل نتائج القياسات، أن الهزة الأولى جاءت نتيجة لانفجار كان هو السبب الأول فى انهيار المبنى، واستغرقت الهزة الثانية ثمانى ثوان، وكانت ذبذباتها واضحة إلا أنها لم تكن بقوة الهزة الأولى، وربما نتج عن ذلك انهيار مادة الخرسانة هيكل الصلب للمبنى رقم ٧، وتبع ذلك فى العشر ثوان التالية للثمانى ثوان هزة قوية جدًا، ويعتقد إريك هوفشميد - وذلك يتفق مع البحث الدقيق - وجود عبوة إضافية موجهة أدت إلى تدمير مركز القيادة بعد انهيار المبنى[٢٠٥].

لو افترضنا أن جهاز التحكم عن بُعد كان منصوبًا هناك لتوجيه الطائرات، فعندئذ يكون التفجير الأخير قد استهدف إزالة ما تبقى من آثار[٢٠٦].

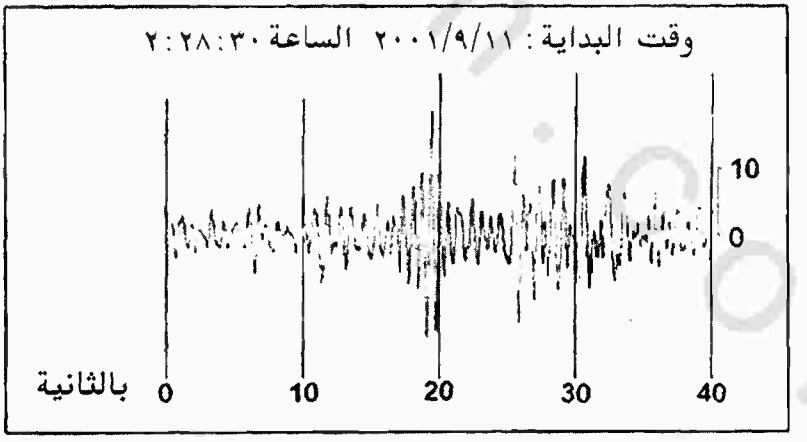

توضح البيانات الزلزالية عن المبنى رقم ٧ التابع لمركز التجارة العالمى وجود ثلاث مراحل لهزة عنيفة، ويبدو أن هذه الاهتزازات تؤكد تقارير الشهود الذين يعتقدون بوجود انفجارات، ولا يمكن الكشف عن السبب إلا بواسطة بحث علمى مستفيض.

لم تصطدم بالمبنى طائرة، لكن يوجد حديد منصهر

توضح إحدى صور الأقمار الصناعية لوكالة ناسا وجود درجات حرارة مرتفعة فى أنقاض المبنى، فقد كانت درجات الحرارة فى المبنى رقم ٧ ما بين ٥٥٧ و ٧٢٧ درجة مئوية، ولم يتضح حتى اليوم كيف اندلعت النيران هناك أصلاً، وفى أنقاض المبنى رقم ٧ تم العثور على حديد منصهر، وهذا لا يمكن أن يرجع إلى نيران عادية(٢٠٧).

المكلف بحفظ الأمن فى مركز التجارة العالمى

خبير مكتب التحقيقات الفيدرالى الخاص بأسامة بن لادن

بقى أن نضيف أن چون أونيل المسئول عن الأمن فى مبنى التجارة العالمى والرئيس السابق لأحد الأقسام فى مكتب التحقيقات الفيدرالى الذى تولى مهام منصبه قبل ١١ سبتمبر بوقت قصير، كان يتقاضى راتبه من الرجل الذى بدأ فى إدارة مركز التجارة العالمى منذ ١٩٩٩م. كان چيرى هاور زميل سيلفر شتاين وصديق أونيل - طبقًا لعرض جريدة نيويورك - هو المسئول عن تجهيز مقر الطوارئ المحصن ضد الهجمات الإرهابية لعمدة نيويورك فى المبنى رقم ٧، وكان أونيل - كما أشرنا من قبل - هو المتخصص فى شئون أسامة بن لادن، والأصولية الإسلامية، وتنظيم القاعدة فى مكتب التحقيقات الفيدرالى، وفى عمله لمكتب التحقيقات الفيدرالى اصطدم بالمعارضة القوية لإدارة بوش التى منعته من التحرى فى اليمن عن عائلة بن لادن لتوضيح الاعتداءات المزعومة، وقد عثر على جثته فى الأنقاض بعد أيام من الحادث، وتعرف عليه هناك چيرى هاور.

عدد الضحايا قليل ولا يتفق مع التوقعات !

فى الصدمة الأولى بعد الاعتداء على مركز التجارة العالمى، قدرت الخسائر البشرية بحوالى ١٠٠٠٠ ضحية لقوا حتفهم فى الجحيم، وكانت المبانى تضم فى أيام العمل العادية حوالى ٤٥ ألف شخص، إلا أن جزءًا كبيرًا منهم لم يكن قد ظهر فى المكان، كما أنه أمكن إجلاء عدد كبير من الحاضرين، فقد اقتحم عدد كبير من

رجال المطافئ المبانى لإطفاء النيران وإنقاذ البشر، وكان يجب بقاء التقديرات غير دقيقة لفترة طويلة، وأثبتت التحريات الممتدة لمدة أسابيع أن عدد الضحايا لا يزيد عن ٣٠٠٠ شخص(*)، وربما يرجع أحد أسباب قلة عدد الضحايا إلى أن المخططين للحادث الإجرامى اختاروا وقت الاعتداء ما بين الساعة الثامنة والتاسعة بالتوقيت المحلى لمنطقة الساحل الشرقى، وذلك فى الفترة التى لم يكن فيها كبار التجار ورجال الأعمال فى مركز نيويورك المالى قد ذهبوا إلى مكاتبهم، ومن هنا فقد أصاب الاعتداء فى الأساس العاملين البسطاء وهم موظفو الاستعلامات، والسكرتيرات، وعاملات النظافة، وموظفو المصاعد، وموظفو الأمن، إلخ.

من المؤكد أن ذلك لم يكن خافيًا على الذكاء الإجرامى العالى للمخططين للاعتداء، فلو كان فى نية مرتكبى هذا الحادث المتقن تدمير مركز التجارة العالمى، ليس فقط كرمز وإنما أيضًا كمركز اقتصادى ومالى للقوة الأمريكية العظمى، لأصاب الحادث ذوى النفوذ فى هذا المكان، ولكن منفذى الاعتداء تجنبوا ذلك بصفة خاصة، وذلك باختيار وقت الهجوم.

إذا كان لدى المخططين للاعتداء إمكانية اختيار وقت الاصطدام بالبرجين بدقة متناهية، لأمكنهم مراعاة عدم ارتفاع عدد الضحايا، فقد كانت مكاتب البرجين ممتلئة بصورة لم يسبق لها مثيل، وكانت التجارة رائجة ومربحة بدرجة كبيرة، وفى البرج الشمالى كان نصف المساحة التى لم يحجزها مستأجرون تقع فوق الطابق السبعين، وكان نصف هذا النصف موجودًا فوق الطابق التسعين، وأمكن تقليل عدد الضحايا عن طريق الاصطدام ما بين الطابق ٩٤ والطابق ٩٨، وأمكن تأمين معظم الموجودين تحت هذه المنطقة.

فى حالة البرج الجنوبى لم تكن هناك إلا مكاتب قليلة غير مشغولة باستثناء الطوابق الواقعة أعلى الطابق الثلاثين، وساعد اصطدام الطائرة بحافة البرج الجنوبى بدور كبير فى تحجيم عدد الضحايا، ونتذكر فى حالة البنتاجون إصابة الجناح الذى كان محميًا ضد الهجمات الخارجية، والذى كان قد تم ترميم أساسه، ولم يكن قد تم بعد إعادة استخدامه(٢٠٨).

(*) منهم حوالى ثلاثمائة مسلم ـ المترجم.

من أين يأتى تعكر المزاج قبل الاعتداء ؟

من الغريب أيضًا وجود تقارير تفيد بتعكر مزاج الناس بصفة عامة قبل الاعتداء بعدة أيام، كما أن بعض الأشخاص الذين كانوا يتوقعون الاعتداء عقدوا صفقات بمليارات الدولارات تضارب على انهيار أسعار الأسهم قبل الحادى عشر من سبتمبر، وقام هؤلاء الأشخاص بدورهم بتحذير القريبين منهم، وكان «چون أونيل» المعفى منذ فترة قصيرة من مهام وظيفته فى محاربة الإرهاب، تلك الوظيفة التابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالى، قد أشاع لدى احتفاله مع أصدقائه ليلة الحادى عشر من سبتمبر بتوليه منصب رئيس قوات أمن مركز التجارة العالمى، أن شيئًا كبيراً سيحدث[٢٠٩].

انطلق من ذلك أيضًا «چوى ألبو ـ **Joe Allbaugh**» رئيس قوات الطوارئ الفيدرالية، وأكد على قواته العاملة لمكافحة الكوارث فى المناطق المنكوبة فى ليلة الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م فى نيويورك بقيادة «توم كنيدى ـ **Tom Kennedy**» بضرورة الاستعداد لأية طوارئ، ومن هنا فإن هذه القوة استطاعت القيام بمهامها فورا فى صباح يوم الرعب، وأكد رئيس الوحدة فى حوار تليفزيونى مع دان راثر أنهم كانوا فى حالة طوارئ منذ الليلة السابقة للاعتداء الإرهابى[٢١٠].

بنك موزع على أكثر من ٥٠ طابقا بدون خسائر بشرية

من الملفت للنظر أيضًا أن بنك «مورجان ستانلى ـ **Morgan Stanley**» الذى كانت مكاتبه موزعة على أكثر من ٥٠ طابقًا فى مبنى التجارة العالمى لم يفقد موظفًا واحدًا من موظفيه، وينطبق الشىء نفسه على طوابق شركة «أوپنهايم ـ **Oppenheim**»[٢١١].

أجّلت مجموعة كاملة من كبار موظفى البنتاجون سفرها الرسمى لصباح يوم الحادى عشر من سبتمبر[٢١٢]، وكان عدد تذاكر السفر فى الطائرات الأربع المختطفة منخفضًا بصورة لم يسبق لها مثيل، ويمكن لطريقة توزيع المقاعد فى الطائرات الأربع أن تكشف عن ثغرات غير عادية، فقد تم أولاً حجز المقاعد المجاورة للنوافذ، وبعد ذلك راعت شركات الطيران توزيع الركاب ما بين كابينة القيادة ومؤخرة الطائرة بشكل متساو تقريبًا، وفى المقابل توضح الصورة الحقيقية للحجز وجود تناقضات كبيرة[٢١٣].

ماذا يعلم جهاز المخابرات الإسرائيلى ؟

مطاردة الفلسطينيين والحرب النفسية

سرعان ما طرح أيضًا ادّعاء بأنه تم تحذير المستخدمين الإسرائيليين فى مركز التجارة العالمى، ولأجل ذلك لا يوجد، أو لا يكاد يوجد من بينهم ضحايا، ومن يحاول مناقشة هذه الادعاءات سرعان ما يتعرض لخطر الاتهام بالمعاداة للسامية، ومع ذلك فإن من يرغب فى اقتفاء أثر العملية السرية المنفذة مخابراتيًا، يضطر لجمع وتقييم ملاحظات غير مرغوب فيها، أو حتى ملاحظات لا تخطر على البال، ويشير تاريخ وكالة المخابرات الأمريكية والموساد إلى تاريخ طويل من العمليات السرية التى استهدفت رأى الجماهير الشعورى أو اللاشعورى عن طريق أعمال الحرب النفسية.

ذكر العميلان السابقان لدى الموساد، وهما «ڤيكتور أوستروڤيسكى ـ Victor Ostrovsky» و«إيرى بن ميناش ـ Ari Ben-Menashe» مجموعة من الأعمال الإرهابية التى عرضت فى غاية الوضوح على الرأى العام على أن مرتكبيها من المتعصبين العرب، ولكن الدافع الحقيقى كان بتحريض من رجال جهاز مخابرات الموساد، الذى يعمل فى الخفاء لكسب الرأى العام الدولى فى عدم إدانة سياسة إبعاد الفلسطينيين من المناطق التى تحتلها إسرائيل(٢١٤).

بصورة أشد من سابقتها، تمارس حكومة شارون الحالية الاستئصال المستمر للفلسطينيين من المناطق التى تحتلها إسرائيل، فشهر بعد شهر تستولى المستوطنات اليهودية على أراض فلسطينية بالقوة، ولا تنتقم العدالة الإسرائيلية من اعتداءات المستوطنين فى المستوطنات القديمة، ولا يقوم الجيش فقط بحماية المستوطنين الذين يستولون على الأراضى، لكنه يقوم أيضًا بمساعدة فعّالة فى إبعاد السكان الفلسطينيين بوحشية لم يسبق لها مثيل، ففى السجون العسكرية الإسرائيلية يقبع العديد من الجنود العاملين وجنود الاحتياط الذين رفضوا الخدمة العسكرية احتجاجًا على مهمتهم فى الإبعاد، ويتم ربط المستوطنات اليهودية ببعضها البعض بشبكة من الطرق تمولها خزانة الدولة، ويمنع الفلسطينيون من استخدامها، كما أنه تم فى الشهور الثلاثة السابقة للحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ م وحدها تشييد

عشر مستوطنات جديدة فى الأراضى الفلسطينية، أما بالنسبة للشعب المطارد، والذى تحطمه الدبابات والمدرعات والمدفعية، فقد تفاقم أمره حتى أصبحت المسألة مسألة حياة أو موت شعب بأكمله.

لو كان هناك جهاز إعلامى نشط لأمكن للمعارضة الديموقراطية فى شتى بقاع العالم أن تمنع أعمال الحكومة الإسرائيلية، وقد لفت بعض الزعماء من الأحبار اليهود فى انجلترا الأنظار إلى الظلم الصارخ، وابتعدوا بصورة واضحة عن سياسة حكومة شارون، وقالوا بأنه سيصبح من الصعب على الحكومة الإسرائيلية كسب أصواتهم(٢١٥).

لو نظرنا إلى أحداث الحادى عشر من سبتمبر نظرة موضوعية وواقعية، فسنجد أنها كانت مساعدة لإسرائيل فى مواصلة سياستها الإجرامية، وفى الحفاظ على رضا القوة العظمى وهى الولايات المتحدة بصفة خاصة، ففى نفس وقت الاعتداءات فى نيويورك وواشنطن تقريبًا، كانت تسير فى إسرائيل، وبعدها فى أمريكا، عملية مساواة الرئيس الفلسطينى عرفات بالإرهابيين المسلمين، ومرة أخرى عُرض على العالم أنه لا يمكن التصالح مع المعسكرات العربية الإسلامية المتطرفة غير محددة المعالم.

فى هذا الصدد تزايدت بقوة تقارير وسائل الإعلام التى لا تتحدث إلا عن الهجمات الانتحارية داخل إسرائيل، تلك الهجمات المرعبة لإسرائيل والمرهقة للمواطنين، إلا أن هذه التقارير لم تكن تتحدث عن أنشطة المستوطنين والجيش الإسرائيلى فى عمليات التطهير العرقى، وقد أشرنا من قبل إلى الفلسطينيين الذين ادّعت تقارير وسائل الإعلام زوراً وبهتانًا أنهم يرقصون ويضحكون فرحًا بالاعتداء على أمريكا.

ضحية إسرائيلية واحدة يوم ١١ سبتمبر

بقى أن نؤكد أنه كان يعمل فى برجى مركز التجارة العالمى حوالى ٤٥٠٠٠ شخص، سقط منهم أقل من ٣٠٠٠ ضحية للاعتداءات، ومن بينهم العديد من رجال المطافئ، واستطاع الباقون النجاة بأنفسهم فى الوقت المناسب، أو أنهم لم يكونوا قد ذهبوا إلى أعمالهم، وبناء على مطالبات الأقارب بالبحث عن القتلى

تبين أنه لا يوجد إلا يهودى واحد من بين الضحايا، وكان هذا اليهودى قد دخل أحد البرجين زائرا، وهذا ملفت للأنظار.

لم يكشف عن آثار للموساد

توجد سلسلة من القرائن تشير إلى علاقة للموساد بأحداث ١١ سبتمبر ومنفذيها، ومن هذه القرائن أن شركة «أوديجو ـ Odigo» ومركزها إسرائيل والتى تعمل فى تكنولوچيا النقل السريع، طالبت موظفيها قبل الاعتداء بمغادرة مقر العمل الواقع بالقرب من مركز التجارة العالمى(٢١٦).

كانت شركة البواخر الإسرائيلية ز«يم ـ Zim» قد انتقلت من أحد طوابق مركز التجارة العالمى قبل الاعتداء بعدة أسابيع، على الرغم من أن عقد الإيجار كان ساريًا حتى نهاية سنة ٢٠٠١م، وتم نقل مقر التمثيل إلى «نورفولك ـ Norfolk» فى ڤيرچينيا(٢١٧).

الموساد

وطلبة الفنون الجميلة

وتجارة التحف والمخدرات

فى ربيع سنة ٢٠٠١م، كتب قسم الأمن التابع للإدارة القومية لمكافحة المخدرات، أن مجموعة من طلاب الفنون الجميلة حاولوا التجسس على المكاتب الإقليمية لإدارة مكافحة المخدرات(٢١٨)، حيث قاموا بزيارة لموظفى إدارة مكافحة المخدرات؛ كى يبيعوا مقتنيات فنية بأسعار تتراوح ما بين ٥٠ و ٢٠٠ دولار، وبدأت مراقبة هذه الأعمال على الأقل منذ بداية سنة ٢٠٠٠م، واستمرت حتى ساعة إعداد التقرير، وقد امتد ذلك أيضًا ليشمل مؤسسات التقاضى، وتنفيذ العقوبات، وكذلك مؤسسات وزارة الدفاع، وشملت الأنشطة الولايات المتحدة بأكملها من كاليفورنيا وحتى فلوريدا مع التركيز على منطقة فلوريدا، ومنذ أبريل ٢٠٠١م تناقصت أعداد الحوادث الواردة فى التقارير، ولكنها انتقلت باتجاه ويسكونسن وأوكلاهوما ولوس أنجلوس.

كان ظهور الطلاب، ومعرفة أنشطة جهاز المخابرات الإسرائيلى، وكذلك معرفة الحوادث السابقة فى مجال الجريمة الإسرائيلية المنظمة، قد أدى بجهاز الأمن

التابع لإدارة مكافحة المخدرات إلى افتراض أن الأمر، تجسسًا لصالح أحد أجهزة المخابرات، وأوضح مكتب مكافحة المخدرات فى أورلاندو/ فلوريدا ارتباط المجموعة بتجارة المخدرات، وتشير أرقام التليفونات التى كانت بحوزة أحد الطلاب إلى وجود ارتباطات بأبحاث الإدمان فى فلوريدا وكاليفورنيا وتكساس ونيويورك.

يقوم التنظيم على فريق من ثمانية إلى عشرة طلاب، يعتبر واحد منهم رئيسًا للفريق، أما الأعضاء من الجنس النسائى فيكونون فى غاية الجاذبية، وتكون أعمارهم بصفة عامة تقريبًا فى منتصف العقد الثالث، وقد أدى معظم أعضاء التنظيم الخدمة فى الجيش الإسرائيلى، وهذا أمر لا يثير الدهشة؛ لأن كل الشباب يؤدون الخدمة العسكرية العامة، ولكن الغريب فى الأمر هو اعتراف معظم المستجوبين أنهم خدموا فى وحدات الأخبار والتنصت والمراقبة، أو فى وحدات خاصة بالمتفجرات، كما كان عدد منهم على علاقة بشخصيات بارزة فى الجيش الإسرائيلى، وكان أحدهم ابنًا للواء أركان حرب، بينما عمل آخر حارسًا شخصيًا لأحد قادة الجيش الإسرائيلى، فى حين خدم ثالث فى وحدة صواريخ باتريوت.

لا يتناسب التنقل فى الولايات المتحدة لبيع المقتنيات الفنية ـ منخفضة القيمة ـ مع خلفية هؤلاء الطلاب، وادّعى الإسرائيليون فى بادئ الأمر أن منهم طلابًا فى جامعة القدس، وطلابًا فى أكاديمية الفنون، ولكن بعد التساؤل فى الجامعة والأكاديمية اتضح أن أحدًا من هؤلاء الطلاب لم يلتحق بالجامعة أو الأكاديمية، وأحيانا كان الطلاب يدعون أنهم يرغبون فى افتتاح إستوديو للفن فى المنطقة، وكانت إجابة الطلاب حول السؤال عن مكان المعرض، ولماذا يبيعون المقتنيات الفنية؟ متباينة، وهناك إشارات يفهم منها أن المقتنيات الفنية قد تم صنعها فى الصين.

ربما توحى الإشارات التى طرحتها إدارة مقاومة المخدرات بقرائن أخرى لنشاط لم يكشف عنه بعد للمخابرات الإسرائيلية فى الولايات المتحدة، إلا أن الملفت للنظر هو أن جزءًا كبيرا من الذين ادّعوا أنهم طلاب للفنون الجميلة كانوا يقطنون فى فلوريدا فى جوار مباشر مع الانتحاريين التسعة عشر المزعومين.

أعد الصحفى التليفزيونى «كارل كاميرون ـ **Carl Cameron**» لمحطة «فوكس

نيوز ـ Fox News» تقريراً من أربعة أجزاء عن العلم الإسرائيلى المسبق بأحداث الحادى عشر من سبتمبر، وسجل ذلك التقرير على شرائط، وتم بث هذه الشرائط، وبعد عدة أيام تم عرضه فى الإنترنت مع إتاحة الفرصة لأخذ نسخة منه، لكنه مُنع بعد ذلك(٢١٩).

فى الحلقة الأولى كان الحديث عن أنه تم القبض على ما يقرب من ٢٠٠ إسرائيلى كمشاركين فى عملية مخابراتية كبيرة لجمع الأخبار، وذلك قبل أسابيع من الاعتداءات على الولايات المتحدة، وتوصل كاميرون إلى استنتاج أنه لا توجد إشارات على تورط الإسرائيليين فى اعتداءات ١١ سبتمبر، وكان المحققون الأمريكيون قد ادعوا من قبل أن الإسرائيليين قد جمعوا فى وقت سابق معلومات عن الاعتداءات وشبكة الوقوع، ولكنهم لم يسلموا هذه المعلومات للمخابرات الأمريكية، إلا أن واحداً من المحققين برتبة عالية جداً قال بأن هناك علاقات فى أغلب الظن، ولكنه رفض الإجابة بصراحة عن السؤال الذى طرح بشأن التفصيلات فقال: «الأدلة التى تكشف عن ارتباط الإسرائيليين بأحداث الحادى عشر من سبتمبر تعتبر سرية» وإجابة عن السؤال: «إلى أى مدى يثق المحققون بأن عددا من الإسرائيليين كانوا يعلمون بالهجمات؟» يرى كاميرون أنه من الواضح أن هذه أدلة فى غاية الأهمية، وتوجد أيضًا مجموعة من الأدلة يدعون أنهم قد جمعوها، ولا يوجد دليل من هذه الأدلة يعتبر قاطعًا، ولكن لو علم القارئ الكريم كل ما توفر من معلومات فلن يملك إلا أن يقول كما قال المحققون: كيف ظل الإسرائيليون على غير علم(٢٢٠)؟

قبض مكتب إدارة مكافحة المخدرات فى أورلاندو/ فلوريدا فى بداية مارس ٢٠٠١ على شخص يدعى «بير سيجالوفيتس ـ Peer Segalovitz» ، وكان ذلك بناء على كلام طلاب الفنون الإسرائيليون بعد القبض عليهم، وتم استجواب المتهم لعدة ساعات، ويؤكد تقرير المكتب أن سيجالوفيتس قد أدلى بمعلومات خاطئة لمدة ثلاث ساعات عن أسباب إقامته فى الولايات المتحدة، وأخيراً اعترف بأنه واحد من طلاب الفنون الجميلة الثلاثين الذين يقيمون فى الوقت الراهن فى فلوريدا، ولم يكن سيجالوفيتس يرغب فى الإفصاح بوضوح عن سبب إقامته فى فلوريدا، فكان يعترف دائمًا بصورة إجمالية بأنه لم يكن لهم أهداف مشروعة، وادعى

سيجالوفيتس أن عمره ٢٧ عامًا، وأنه ضابط فى وحدة إسرائيلية خاصة، التحق بكتيبة تعسكر على هضبة الجولان، وقال إنه ملازم ثان يحمل رقم ٥٠٨٧٩٨٩ وتخصص فى إعداد المتفجرات، وبعد أن تحدث عن إحاطته بالعمليات العسكرية، وأوضح أن الشيء الوحيد الذى لم يعرفه هو قيادة الطائرة الحربية، طلب من الموظف المحقق التابع لإدارة مكافحة المخدرات أن لا يبلغ هذه المعلومات إلى إسرائيل، وإلا فإنه لن يتوقع هناك إلا القبض عليه فوراً[٢٢١].

فوق السطوح

خمسة مراقبين إسرائيليين

كانت المخابرات الإسرائيلية تتجسس فوق الأراضى الأمريكية على العدو المشترك، أى أنها كانت تتجسس على المتهمين من شبكة الأصولية الإسلامية، ففى نيوچيرسى المجاورة مباشرة لنيويورك، تم القبض على خمسة إسرائيليين بعد الاعتداءات على مركز التجارة العالمى مباشرة، حيث قامت الشرطة المحلية بالإمساك بهم بعد ثمانى ساعات من الهجمات، وأخرجتهم من سيارة تابعة لإحدى شركات نقل الأثاث، وتلقى مكتب التحقيقات الفيدرالى هذا الإنذار من بعض المارة الذين شاهدوا الإسرائيليين يراقبون الاعتداءات على مركز التجارة العالمى من سطح أحد مخازن البضائع ومن سيارتهم، ويلتقطون صوراً لذلك بكاميرات الڤيديو، وتروى إحدى السيدات التى كانت تراقب الإسرائيليين أن السعادة كانت بادية على وجوههم، وأنه لم يكن يظهر عليهم الإحساس بالصدمة، وبدا ذلك غريبًا للسيدة[٢٢٢]، وتم التحفظ على الإسرائيليين لمدة تزيد عن شهرين، وتم إخضاعهم لجهاز كشف الكذب، كما قام العديد من المحققين فى قسم مكافحة التجسس التابع لمكتب التحقيقات باستجوابهم[٢٢٣]، واعتبر مكتب التحقيقات هذه الأنشطة عملية استخباراتية إسرائيلية لجمع المعلومات، وأصر المكتب على هذا الموقف فى مواجهة الاعتراضات.

كانت شركة نقل الأثاث تعمل برأس مال قليل جدا وملفت للأنظار، وتم إغلاقها فور القبض على العملاء الخمسة، وهرب صاحب الشركة إلى إسرائيل، واعتبرت الهيئة الرسمية هذه المعلومات غير مهمة، وأفادت بأن لأمريكا وإسرائيل

عدواً مشتركًا، ومن هنا فإنه من الطبيعى أن تعمل القوات الإسرائيلية أيضًا فوق الأراضى الأمريكية للكشف عن هذا العدو، إلا أنه نشأ نوع من التوتر بين أجهزة المخابرات انطلاقًا من حقيقة أنه لم يتم مناقشة هذه الأنشطة سويًا، **وكان الخبراء يرون أن إدارة بوش مدينة للملاحظات الإسرائيلية بأنها أشارت إلى المنظمات الإسلامية الخيرية المتهمة بتوصيل أموال إلى الجماعات الإرهابية**، وقال مسئول أمريكى رفيع المستوى فى المخابرات لمجلة «فور وارد ـ **Forward**» إن مكتب التحقيقات الفيدرالى قد توصل فى نهاية تحقيقاته إلى أن الإسرائيليين الخمسة الذين ألقى القبض عليهم فى نيوچيرسى قد قاموا بتنفيذ تكليف بالمراقبة، وأن الشركة كانت تعتبر غطاء لهذه العملية(٢٢٤).

فى نهاية نوفمبر ٢٠٠١م تم طرد المتهمين بالتجسس من أمريكا إلى إسرائيل بتهمة الإخلال بقانون الإقامة، ومما لا شك فيه أن تحريات مكافحة التجسس التابعة لمكتب التحقيقات الفيدرالى أكدت أن اثنين على الأقل من الخمسة إسرائيليين كانوا يعملون فى الحقيقة عملاء للموساد، تم زرعهم لمراقبة مجموعة من العرب، وطبقًا لتقديرات مكتب التحقيقات، لم يكن هؤلاء الخمسة يعلمون شيئًا عن أحداث الحادى عشر من سبتمبر، ولذلك كان يجب الإفراج عنهم.

لن نتحدث طويلاً عن الإسرائيليين الخمسة الذين تم ترحيلهم إلى إسرائيل، فقد تم القبض على سبعة آخرين فى نيوچيرسى وپنسلڤانيا، وكانوا جميعًا فى سيارات نقل تابعة لشركات نقل الأثاث، وكانوا جميعًا يحملون تأشيرات منتهية الصلاحية(٢٢٥)، وكان وما زال معروفًا عن جهاز المخابرات الإسرائيلى وغيره من أجهزة المخابرات أن شركات نقل الأثاث تستغل بصورة جيدة للتمويه على عمليات جمع المعلومات.

بقى أن نؤكد أنه طبقًا لتقرير جهاز جمع المعلومات الفرنسى، أن مجموعة من الإرهابيين العرب، وخلايا إرهابية مشكوك فيها، كانت تعيش من ديسمبر ٢٠٠٠م وحتى أبريل ٢٠٠١م فى فونيكس/ أريزونا وفى ميامى وهولى وود وفلوريدا فى جوار مباشر مع خلايا التجسس الإسرائيلية(٢٢٦).

بناء على ذلك كان يجب على الإسرائيليين باستمرار أن يرصدوا الإرهابيين، وطبقا لتقرير جريدة «دى تسايت الألمانية ـ Die Zeit»، فقد كان رئيس العملاء الإسرائيليين يقطن بجوار مكتب البريد الذى تتبعه صناديق بريد الإرهابيين، وعلاوة على ذلك كان الموساد يرصد شريك عطا المدعو خالد المدحار «Khalid Al-Midhar» والذى كانت وكالة المخابرات الأمريكية تعلم أمره، لكنها تركته دون أى إزعاج، وقد قام الموساد عدة مرات بتحذير الشريك الأمريكى من الإرهابيين، وبذلك أثبت الإسرائيليون عدم مشاركتهم فى الجريمة، حتى فى حالة طلاب الفنون الجميلة الذين قاموا بأداء مهمتهم فى الكشف عن الشبكة الإرهابية، بصورة أفضل من المخابرات الأمريكية التى كانت موجودة فى المكان، إلا أن وكالة المخابرات الأمريكية ومكتب التحقيقات الفيدرالى يدافعان عن أنفسهما بالإشارة إلى أن أصابع الاتهام الإسرائيلية لم تكن محددة بحيث يمكن البدء فى اتخاذ إجراءات بطريقة استراتيجية، ولا يناقش هذا الموضوع فى الولايات المتحدة ولا فى ألمانيا، وذلك لأسباب معروفة، إلا أن ذلك ممكن على صفحات الإنترنت، حيث تساهم كل الشبهات المثارة فى تكوين الصورة الكلية المتخيلة دون مراعاة للأشخاص والدول، فيجب وضع كل هذه الشبهات على المائدة للكشف عن ملابسات الحادث، وأسفرت الملاحظات من هذا النوع عن أدلة غير مباشرة، إلا أن بإمكانها توجيه التحقيقات والتحريات، طالما أن السلطات لم تتلق تعليمات من سلطات أعلى بالكف عن ذلك.

* * *